مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية /المجلد ٢٤/ العدد٣ :٢٠١٦

ألفاظ الطبيعة ودلالاتها في شعر محمد مهدي الجواهري

علي طرخان
جامعة بابل/كلية التربية الاساسية
alihht@yahoo.com

الخلاصة

عاش الجواهري في بيئة طغت فيها الأحداث السياسية التي رافقت الاحتلال الإنكليزي وأعقبته، وحدثت خلالها الثورة الفكرية العربية والإسلامية، وبرزت معها الفكرة القومية في صفوف الناشئة وكان مسرح الأحداث السياسية ومظاهر العيش في بيئة طبيعية تميزت بأرضها الخصبة ووفرة مياهها وكثرة خيراتها التي يجود بها صعيدها ويزخر بها داخلها، وهذا ما جعل من البيئة الطبيعية مصدر خير فياض يكفي أبناءها ويرفع مستواهم المعيشي لو أحسن الاستثمار والتوزيع وسادت العدالة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الحب، السماء، الشهاب، الجوزاء، الديمة، الوحشة، الشفق، الاودية، الدجا، العشب.

Abstract

Jeweler lived in an environment where overshadowed by political events that accompanied the English occupation and followed, and occurred during the Arab and Islamic intellectual revolution, and emerged with the national idea in the ranks of emerging and it was the political scene and the manifestations of living in a natural environment characterized by their land fertile and the abundance of water, and the large number of its resources, which graciously by their level and abound in within it, and that's what made it the source of the natural environment is better Fayyad enough sons and raise their standard of living if the best investment, distribution and social justice prevailed

Key words: the love , The sky , Shehab Gemini , Aldemh , Loneliness , twilight , The valleys , Diga , the lawn

ألفاظ الطبيعة ودلالاتها:

الطبيعة واحة خير، وموئل حسن، ومهوى أفئدة، ومثار ذكريات لها في خواطر الناس آثار جميلة، وفي وجدان الأدباء والشعراء ذكريات غالية. فهي الملهم، الأول لكل كاتب وشاعر، والمصدر العذب لكل فن من الفنون.

الطبيعة في اللغة ((تعني الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان، وتعني الفطرة، وطبعه الله على الأمر: فطره))[١]. ويقصد بها اصطلاحاً الكون الجميل الذي أبدعه الله وطبعه بهذا الشكل من دون أن تتدخل فيه أعمال الإنسان.

وردت لفظة الطبيعة، والطبيعي ست مرات في ديوان الجواهري[٢]. والظاهرة التي غلبت عليها دلالتها، هي التشخيص والتجسيد من خلال الاستعارات الدالة على اندماج الشاعر بالطبيعة، وتأثره بما فيها من مظاهر الحسن. من ذلك قوله:

ما أنصفت فيه الطبيعة حبها لما دعا للشوق غير سميع[٣]

<u>الحب:</u> ((نقيض البغض، والحب الوداد والمحبة، والحب، الحبيب مثل خدن خدين[٤] السميع: بمعنى السامع مثل عليم وعالم وقدير وقادر))[٥].

ويبدو تشخيص الطبيعة أيضاً في قوله:

لقد وقّعت كف الطبيعة لحنه وشابهه في الشعر طبعي فوقعا[٦]

يطالعنا في هذين البيتين تركيز الشاعر على تشخيص الطبيعة، وجعلها بمنزلة الإنسان تحب وتهوى وتضع الألحان، وفي هذا كله انتقال بالدلالة من الحقيقة إلى المجاز.

وجد فيها الشاعر والكاتب، منذ القدم، مرتعاً لخياله ومنهلاً لأفكاره ((فارتسمت في النتاج الفني والأدبي لوحات حسن تمثل الفلوات والجبال في البادية والروض والماء والزهر في الحواضر، والشمس والقمر والسحب والنجوم في السماء وجاء الشعر يمثلها تمثيلاً صادقاً، كما تأثرت بها نفس الشاعر وجملها حقيقة))[٧].

وقد عرف الشعر العربي منذ الجاهلية شعر الطبيعة بالصورة التي أوحت بها البيئة البدوية. ومن مظاهر وحيها منذ الجاهلية، وفرة الأبيات، والمقاطع في وصف الليل، والفلاة، والبرق، والسماء، والنجوم، والغيث،والحصان، والناقة، وكثرة المعاني المعبرة عن علاقة الألفة، والتكامل بين الغيث، والروض، والزهر في القصائد وبعض المعلقات.

وتبدت مظاهر الهيام بالطبيعة في مختلف الأغراض الشعرية: ولم تغب معانيها عن الغزل، والخمريات، وتبدت في أوصاف الحصان، والناقة، وأحاديث الحرب، والفخر. ويذكر الدارسون أن أمرأ القيس أنشد معلقته وذكر الغدير "في دارة جلجل" بين الماء والخضرة ممتعاً النفس بالطبيعة التي استأثرت بقسم غير قليل منها.

ووصف عنترة العبسي الروضة وصفاً فيه جدةٌ وطرافة، في معرض الحديث عن الحبيبة وتناثرت الصور الطبيعية في الشعر العربي منذ الجاهلية وجاء الشعر فيها مزيجاً من وقوف على الأطلال وذكر الأحبة الراحلين، وحديث عن الليل، والصحراء بحيوانها ونباتها ومظاهرها الطبيعية المختلفة.

وفي الحقب اللاحقة ساد التقليد في الموضوعات المذكورة، وصار الشعراء يرددون نغمات السابقين، مكررين معانيهم، وظلت المادة القديمة مستخدمة في صورهم. ولعل المدح كان ظاهر الأثر في توجيه الشعراء، وجهة التقليد والمسايرة بعيداً عن التعبير عن شعور الإنسان بجمال البيئة الطبيعية.

واستمر الأمر قائماً على التقليد والتكرار إلى أن توافرت مقومات الإبداع التي رافقت مظاهر الحضارة الجديدة التي تبدت في البيئة العباسية وظهر شعراء يمثلون الطبيعة تمثيلاً يعبر عن افتتانهم بمحاسنها وإعجابهم بالعمران والبساتين والرياض وأعمال العرس والتزيين التي قام بها الإنسان في البيئة العباسية المترفة. واشتهرت أسماء أعلام كان لها في شعر الطبيعة والرياض أثر جميل يعبر عن فتنة واندماج في عالم الطبيعة الجميل، ومن أعلام شعر الطبيعة في هذا العصر: البحتري وابن الرومي، وابن المعتز، وكشاجم، والصنوبري، والخالديان وسواهم.

وجعل الجواهري الطبيعة مبتغاه، يقصدها للترويح عن النفس من هموم الأيام: وبلغ أثرها أعماق عاطفته، فجلاها في ثوب فاتن وصور مشرقة وأضفى عليها من روحه فيضاً وجعلها تضج بالحياة مع إطلالة الشمس وعناق الأشجار ورقة النسيم وتغريد الطيور. وجاءت صورها وثيقة الصلة ببصره ومشاعره واستهوته عناصرها من بحار وأنهار وبساتين وأشجار وشمس وقمر ومطر،...

وشعر الطبيعة: ((هو الشعر الذي يمثل الطبيعة وبعض ما اشتملت عليه من جو طبيعي يزيده جمالاً خيال الشاعر، ورهافة حسه))[٨].

و((تنقسم الطبيعة إلى عناصر وظواهر، فالعناصر تشمل: هذا الكون المحسوس من شمس وقمر وجبال ونحوها. أما الظواهر فتتناول ما يرتبط بتلك العناصر ارتباطاً سببياً: كالليل والنهار))[٩].

((لم يأتِ هذا اللفظ في القرآن الكريم ما خلا الجذر (طبعَ) ورد فيه بصيغ مختلفة وهو لم يخرج عن دلالة الختم))[١٠].

إذا كان الإنسان يصطبغ ويتأثر بعوامل عدة في حياته فإن البيئة الطبيعية تأتي في الصدارة منها وهي ذات أثر واضح في الإنسان يتجلى ويصدح في مفرداتها ((لأن اللغة وسيلة للتفاهم والأخبار بين الذين يعيشون في بيئة واحدة يتواضعون على كلمات خاصة نابعة من طبيعتهم ويطلقون أسماء معينة على مسميات يعرفونها فنجد ألفاظ الطبيعة الصحراوية تختلف عن ألفاظ الطبيعة الريفية وهي الأخرى تختلف عن ألفاظ الطبيعة المدنية))[١١].

ويتناول هذا البحث مبحثين أساسيين: الألفاظ الدالة على الطبيعة السماوية، والألفاظ الدالة على الطبيعة الأرضية.

المبحث الأول/ألفاظ دالة على الطبيعة السماوية

عني العرب منذ الجاهلية بالسماء ونجومها وكواكبها، ولم يكن ذلك وليد مصادفة أو غرابة، فعنايتهم بالتنجيم قديمة، وأقوال المنجمين لها أثر في النفوس والعقول وشغف الشعراء بالنجم وزينة السماء واسع كبير، والشعر العربي في هذا الإطار غني بالتأمل وصور الليل فيه كثيرة ومتباينة.

وعرفوا منذ القدم مواقيت النجوم ومساراتها وأفادوا منها في أسفارهم البرية والبحرية.

وقد ذكر ذلك القرآن الكريم، وعدَ اهتداءهم بها في هذا المجال من نعمه عليهم كما يبدو في قوله تعالى **(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالْبَحْرِ)**[١٢].

وجعل الله من منازل القمر سبيلاً للافادة في حساب الأيام والشهور والسنين ،وفي سورة يونس قوله تعالى: **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ** [١٣].

((وقد عرف القدماء كثيراً من الكواكب والنجوم وراقبوا طائفة من الكواكب في مطالعها ومغاربها وجعلوا لها أشكالاً وصوراً وسموها بأسماء خاصة ترد كثيراً بأشعارهم مثل الثريا وسهيل وعرفوا الكواكب السيارة وميزوها من الكواكب الثابتة وهي الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل))[١٤].

أولاً: السماء

سميت السماء بهذا الاسم لأنها مأخوذة من ((السمو، وهو العلو والارتفاع وأصل كلمة سماء في اللغة: كل ما علاك فأظلك، والسماء التي تظل الأرض في لغة العرب مؤنثة لأنها جمع سماءه))[١٥] وجاءت في صيغة التأنيث في القرآن الكريم: **والسماء وما بناها** [١٦]. وتأنيثها مجازي.

ووردت لفظة السماء في بعض قصائد الجواهري التي اتخذت من الرياض والمطر والطيور والكواكب والشمس والقمر موضوعاً لها، ولم ترد في قصيدة مستقلة تتخذ منها موضوعاً خاصاً. وغالباً ما جاءت مقرونة ببعض الألفاظ المرتبطة بها بالإضافة من ذلك: طيور السماء، سماء الروض، ماء السماء، لطف السماء... ومن المعاني التي ارتبطت بالسماء وعبر عنها الشاعر قوله في الطبيعة والروض في القرية العراقية:

رونقٌ شاع في الثّرى وعلى الرَّو ضة لطف من السماء مسكوب[١٧]

تعدت السماء هنا المعنى المعجمي إلى معان دلالية مرتبطة بالجمال والمحاسن والخير الوفير. وقد عبر عن هذه القيم الجمالية باللطافة وهي صفة ملازمة للسماء وترتبط بها ارتباط الجزء بالكل.

ومن معاني اللطافة المرتبطة بالسماء قوله:

يحبس العين لانتشار الدياجي في السما منظرٌ لطيفٌ مهيب[١٨]

ومن معاني السماء الإغاثة لما تجود به من غيث يعيد الحياة إلى الأرض وما عليها من كائنات مما يشكل سبيلاً لاستمرارية الحياة في الطبيعة وعند الكائنات من ذلك قوله:

عاطى نبات الأرض ماء السما ما لا تعاطيه كؤوس الرحيق
أوشكت القيعان، إذ فُتحت لها السما، مما عراها تضيق[١٩]

ويشبه الأغصان والأوراق الوارفة الظلال التي تغطي الرياض في بلاد فارس بالسماء.

هي (فارس) وهواؤها ريح الصبا وسماؤها الأغصان والأوراق[٢٠]

ثانياً: الشمس

أم الطبيعة وزينتها، تتعهدها بحنو، واهتمام، وتضيء كل ما في السماء والأرض لتبعث فيه البهجة والحياة.

((وتعد الشمس أعظم الكواكب جرماً في نظر الإنسان وأشدها ضوءاً ولقوة شعاعها تختفي جميع الكواكب عند طلوعها))[٢١].

وقد سميت شمساً لأنها شبهت (بالشمسة) وقيل أنها سميت بذلك لأنها غير مستقرة[٢٢].

وكما في قوله تعالى (**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا**)[٢٣]

وقد جاء في رؤيا يوسف عليه السلام حينما رأى في منامه قوله تعالى **(إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)**[٢٤]. أي أن يوسف قد رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له حيث فسرت الكواكب بأنها إخوته والشمس والدته والقمر والده عليه السلام [٢٥].

وكانت العرب تؤنث لفظة الشمس فتقول طلعت الشمس وأنثت كذلك في قوله تعالى: **(فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً)**[٢٦].

وقد وردت لفظة الشمس صريحة في ديوان الجواهري وحقيقته دالة على الكوكب المعروف من دون سواها من الألفاظ المرادفة للشمس كالغزالة أو ذكاء أو سواها من الألفاظ الدالة عليها، يقول:

بالماء منساباً على حَصبائه بالشّمس طالعةً وراء تلوله[٢٧]

وكذلك قوله في الشمس:

منظر للحقول إذ تشرق الشمس جميل وإذ يحين الغروب[٢٨]

وتتعدى الشمس مع الشاعر دلالتها اللغوية المتمثلة بكونها أعظم الكواكب، وأشدها ضوءاً وأقواها شعاعاً إلى للدلالة على بث الحياة والنشاط في الحياة وفي كائنات الطبيعة وجعلها في حال من البهجة والانشراح وهذا التعبير الدلالي هو من باب انتقال الدلالة من معنى إلى معنى اخر.

والشمس عند الجواهري إيحاء مميز يخالف المألوف عند معظم الشعراء ولاسيما في تعبيرهم عن أثر الغروب في النفس البشرية، إذ يرتبط معنى الغروب عند هؤلاء بفكرة الزوال والفراق ويوحي بالحزن والكآبة كما ورد عند الشعراء الرومانسيين وعند ابن الرومي في مثل قوله:

ولاحظت النوار وهي مريضة وقد وضعت خداً على الأرض أضرعا[٢٩]

توحي الشمس عند الجواهري بشروقها وغروبها إلى بث البهجة والانشراح في ذات الشاعر وفي كائنات الطبيعة ولاسيما في الرياض والروابي والأشجار والأزهار، والرياحين. وفي ذلك كله يعبر الشاعر عن مشاركة وجدانية بينه، وبين الشمس وكائنات الطبيعية، ويتمثل موقف الشاعر من الشمس وأثرها في النفس بقوله:

وما أبهج الشمس عند الغروب يحي رباها وعند الطلوع[٣٠]

وتطالعنا في جميع اللغات التي تعتمد التذكير والتأنيث في بنائها اللغوي ظاهرة لغوية مثيرة للاهتمام وتتمثل بإقامة علاقة الحب والمودة بين الشمس والقمر يعدهما بمنزلة زوجين يحنان إلى بعضهما حنين البشر، فهي حين تؤنث الشمس، ويذكر القمر في اللغة العربية، نرى بالمقابل تذكير الشمس، وتأنيث القمر في اللغة الفرنسية وجميع اللغات تنهج هذا النهج ويعود السبب في ذلك إلى أن الإنسان يعكس ذاته وميوله على كائنات الطبيعة فيجعلها صنوه تحس وتشعر وتفرح وتعتريها حالات شبيهة بأحوال البشر في الحب والهوى.

ويذكر الجواهري لعاب الشمس في قوله:

وسنا الشمس حين مجّت لعاباً أرسلته من نورها الكسروي[٣١]

رضوا من صُبحهم فجراً كذاباً ومن أنوار شمسهم اللعابا[٣٢]

و(لعاب الشمس) هو الذي يقال له (مخاط الشيطان) ويقال له (ريق الشمس) وهو يشبه الخيط يرى في الهواء إذا اشتد الحر وركد الهواء[٣٣]. كأنه يتحرر من السماء[٣٤] وهو يمثل علاقة السبب بالنتيجة، من حيث يتسبب عن شدة حرارتها في الصيف وهذان التعبيران (سنا الشمس) و(مجت لعاباً) تشخيص واضح للشمس إذ صورها بصورة الإنسان حين جعل لها لعاباً يسيل من فم لها وفيه من جمال الصورة ما يثير الدهشة وتبدو من حيث الدلالة اللغوية علاقة الجزئية بين الشمس واللعاب إلى جانب التشخيص الفني من خلال اللعاب والفم.

ثالثاً: البدر

القمر هو صنو الشمس حسناً وإشراقاً، ومثال الروعة والأبهة والجمال ((تربطه بالأرض علاقة حب أبدية فهو يحن إليها في مسراه، ويبدد ظلماتها بإطلالته، ويبث الطمأنينة في نفوس أبنائها لدى رؤيته، فتسمو إليه أبصارهم وتبتهج به قلوبهم، ويتوسمون فيه بشائر الخير والحب والسعادة))[٣٥].

((والقمر: لفظة مستمدة من القمرة، وهي البياض سمي بذلك لبياضه والجمع أقمار، ويسمى الليلتين من أول الشهر هلالاً، ولليلتين من آخره هلالاً، ويسمى ما بين ذلك قمراً))[٣٦]. ((والقمران: الشمس والقمر))[٣٧] وقد جاءت لفظة القمر في القرآن الكريم في قوله تعالى **(وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا)**[٣٨]، وفي تسمية القمر انتقال بالدلالة من صفته الحسية، وهي اللون الأبيض، إلى صفته التي تميزه.

والقمر هو النير الثاني بعد الشمس. وفلكه أقرب الأفلاك إلى الأرض، ولذلك وصل إليه المكتشفون حين حطت المركبة الفضائية على سطحه. وقد شبهت به جميلات النساء، وشبه به أيضاً كل مرموق من الرجال.

حتى إذا حكم المغيب بدا له شفق يحيط البدر حين مثوله

قمراء رقصة الأشعة جُللت بخفي سرٍ رائعٍ مجهوله[٣٩]

ومن أسمائه البدر، وذلك حين يكون في الليلة الرابعة عشرة، وقيل سمي بذلك ((لمبادرته الشمس قبل الغروب، وقيل لاكتماله وامتلائه))[٤٠].

ويعجب الجواهري بأثره في النفوس والأشياء، كما في قوله:

والبدر بالأنوار يملأ دجلةً زهواً ويبعث في النفوس خشوعاً[٤١]

ففي إطلالة القمر انتقال بالدلالة من معنى إلى معنى اخر وأنواره حين تنعكس على مشهد في الطبيعة تجعله في حالة من الزهو والإشراق وفي ذلك كله أحياء وبث للحياة في الجماد، فجعله يشعر ويفرح ويزهو بإنعكاس أنوار القمر على مياهها وفي هذا التشخيص بعد دلالي له أثره العميق في النفس والوجدان،

وهذه الأنوار بالذات تجعل النفس البشرية في حالة من الخشوع أو التعبد المفعم بالإيمان، وهذا الخشوع ناجم عن علاقة المشهد الجميل بالذات الإلهية التي خلقت فيه هذا الجمال فكل منا يقف مشدوها أمام الجمال وسرعان ما ينطق بعفوية خالصة، (سبحان المبدع العظيم) ومن هنا يمكن القول: إن الجمال يوحي بالتعبد ،فالبدر بأنواره هذه يحمل أبعاداً دلالية غنية بالتعبير عن الحالات الإنسانية المتأثرة بالجمال.

النجوم والكواكب:

النجوم:

وردت لفظة نجم بشكل لافت في الجزأين الأول، والسابع من ديوان الجواهري، وجاءت لفظة النجم في القرآن الكريم في قوله تعالى (**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**)[٤٢]. ((والنجم في الأصل (إسم لكل واحد من كواكب السماء وهو بالثريا أخص))[٤٣]. والنجم ((في الأصل اسم لكل واحد من كواكب السماء وهو بالثريا أخص: والثريا هي ستة أنجم صغار، يراها البعض سبعاً وهي على شكل مثلث متساوي الساقين. وقيل سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، وكأنها كثيرة العدد))[٤٤] وأصل النجم في اللغة الظهور، إذ يقال: ((نجم الشيء ينجم نجوماً: طلع وظهر ويطلق على الكواكب لأنه طالع في الليل))[٤٥]، وهذا التحليل من باب الانتقال في المجال الدلالي للفظة، وهو انتقال من أصل الوضع اللغوي إلى معنى آخر، ويشبه الجواهري نفسه بالليل لمعاناته الهموم، ويزداد تأثيرها مع الظلام ويشبهها بالنجم لما ينتابه من أرق طوال الليل، وفي كلتا الحالتين مشاركة وجدانية بين الشاعر والليل والنجم من ذلك قوله:

وإني كالليل بادي الهموم إني كالنجم لم أنعس[٤٦]

والجدير بالذكر إن فكرة انعكاس ذات الشاعر على الليل والنجوم كانت شائعة في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي.

وشبه الشاعر الأنجم بالطير الشاكية، من ذلك قوله:

أتُرى الأنجم طرّاً تشتكي ذا أم الآلام خصت نجمنا؟[٤٧]

واتسع نطاق التشبيه ليصل إلى تشخيص النجم، وجعله يشعر ويتألم ويشتكي، وفي ذلك كله يعكس الشاعر ذاته على عناصر الطبيعة التي اندمج بها، كما نلحظ انتقال اللفظة من الحقيقة إلى المجاز عبر هذا التشخيص للنجم.

<u>والشهاب:</u> ((شعلة نار ساطعة في السماء ويجمع على شهب وشهبان وأشهب))[٤٨] وفي التنزيل قوله تعالى (**آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ**)[٤٩].

وفي حديثه عن النجوم؛ ذكر الجواهري الشهب في التعبير عن حبه ومكابدته الهموم ليلاً. ووردت لفظة الشهب في ديوان الجواهري إحدى عشرة مرة[٥٠].

من ذلك قوله:

وليل رثى لي والأحبةُ نُوَّم له مُقلة بالشهب من لوعتي عَبْرى[٥١]

شخص الشاعر الليل، وجعله شريكاً له في السهر والهموم، كما جعل الشهب دموعاً لليل تعكس حال الشاعر.

ووردت لفظة الشهب مضافة إلى النيازك، وذلك في قوله:

مُنىً خالجت نفسي وأحببْ بها مُنىً تريني حياتي فوق شُهب النيازك[٥٢]

الجوزاء: ((برج من بروج السماء، ويقال: هناك نجم يعترض في جوز السماء يسمى الجوزاء، وهذا من باب التوسع المجازي، ومطلع الجوزاء يكون في الشتاء أول الليل، ويذكر أن هذه الليلة من الأسرار فلا ضوء في أولها))[٥٣].

وقد ذكر الجوزاء بقوله:

ومسهدٍ راع الظلام بخاطرِ لو كان بالجوزاء حل نطاقها[٥٤]

الفرقدان :ومن النجوم المذكورة في ديوان الجواهري (الفرقدان)، كما في قوله:

سيمنع من طلاقته لساني متى منع الظهور الفرقدان[٥٥]

((والفرقدان نجمان في السماء... ولا يغربان لكنهما يطوفان الجدي، وقيل: هما كوكبان من بنات نعش الصغرى))[٥٦].

وأهم الظواهر اللغوية التي نلحظها في هذه المجموعة:

- علاقة الجزء بالكل فيما يتعلق بالنجوم.
- انتقال دلالة عدد من الألفاظ من مجال إلى مجال. فكلمة نجم في اللغة تدل على الظهور والطلوع في قولهم: نجم الشيء إذا ظهر وبان، ثم انتقل مجالها الدلالي إلى الظهور في الليل.
- سميت مجموعة النجوم بالثريا، وذلك لكثرة عددها وضيق المكان الذي هي فيه. فشبهت بالثرى وهو ذرات التراب.
- نلحظ أن بينها علاقة التباين في التسمية والصورة، كما يبدو بين النجم والشهب، كما نلحظ انتقال اللفظة من الحقيقة إلى المجاز بفعل التشخيص والتشبيه لليل والشهب والنجوم.
- سمي عدد من النجوم بأسماء الحيوانات وأسماء أخرى مثل الجدي، وأطلق العرب هذه الأسماء على النجوم لوجه الشبه القائم من حيث الشكل بينها وبين الحيوانات، وكلها تنضوي تحت لفظة النجوم. والملاحظ أن بينها علاقة التباين في التسمية والصورة كما يبدو بين الجوزاء والجدي.

الكواكب: وردت لفظة الكواكب في ديوان الجواهري بصيغتي المفرد والجمع، وبدت في صور تشبيهية تعبر عن جمالها المتألق، وإيحاءاتها المعبرة. وهي في مطلق الأحوال زينة السماء ومهوى أفئدة الناس والشعراء، وفيها يقول الجواهري:

وهي ضوء الشموع في الحجرات عندهم والكواكب النيرات[٥٧]

وقد جاءت في القرآن الكريم كما في قوله تعالى **(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ)** [٥٨].

كيـــوان : ووردت لفظة كيوان مرتين في قصيدة واحدة، وكيوان هو كوكب من الخنس وهو كوكب زحل المشهور، وسمي بزحل؛ ((لأنه زحل أي بعد، وأصله في اللغة من زحل الشيء عن مقامه بزحل زحلاً وزحولاً. إذا زل عن مكانه))[٥٩].

وهذا من باب انتقال الدلالة من الحال إلى الذات، فسمي هذا الكوكب بصفته التي هو عليها. ويقال إنه في السماء السابعة.

وهنا ذكره الشاعر بقوله:

لا يرتضي إلا المنية منهلاً أو منزلاً من دونه "كيوان"

زاحم بمنكبك النجوم ولا يطل شرفاً عليك ببرجه "كيوان"[٦٠]

وكيوان من الكواكب المشهورة باستمرار ضوئها وإيحاءاتها، لذلك نلاحظ أن الشاعر في سموه وترفعه، وفي القيم التي يعيش من أجلها، وفي استمرار دعواته وثورته، لا يقبل إلا الرفعة والكرامة أو المنية. وقد عكس هذه القيم على كيوان لعلوه وتميزه عن بقية الكواكب.

نخلص مما تقدم إلى أن الكواكب تشكل مجموعة كل واحد منها له لفظة محددة تطلق عليه وهي جزء من مجموعة ألفاظ الكواكب، وتربطها بها علاقة التضمين والاشتمال، وأنها تمثل فيما بينها علاقة تباين باعتبار أن كلاً منها، وإن كان كوكباً، يباين سواه في الشكل والصفة والتسمية.

السحاب:((هو بخار الماء المتصاعد من البحار والأنهار والبحيرات الذي يجتمع في أعالي الجو بفعل انخفاض درجة الحرارة))[٦١]، وهو ينشأ بقدرة الله تعالى كما في قوله تعالى: **(وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)**[٦٢].

وعبر عنه القرآن الكريم بألفاظ منها: الغمام: جمع غمامة في قوله تعالى:**(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ)**[٦٣]، والمزن جمع مزنة قوله تعالى: **(أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)** [٦٤].

((وسمي السحاب بهذا الاسم لانسحابه في الهواء من قولك: سحبت الشيء اسحبه سحباً: إذا جررته والسحابة: التي يكون فيها المطر، سميت بذلك لانسحابها في الهواء، والجمع سحائب وسحب وسحاب))[٦٥].

لم ترد في ديوان الجواهري لفظة السحاب أو السحب، وإنما وردت ألفاظ مرادفة لها وألفاظ تشكل جزءاً من الحقل الدلالي للسحاب، ومن الألفاظ الدالة على السحاب في ديوانه: الغيوم، الغيم، المواطر، الديمة.

من السحاب **(الغيم)** وهو ((أن لا ترى شمساً من شدة الدجن، وجمعه غيوم وغيام))[٦٦].

ومن ذلك قوله:

وكأن السرور يومض برقاً من خلال الغيوم ثم يغيب[٦٧]

ومن أنواع السحاب أيضاً **(المواطر)** جمع ماطرة ((وهي السحابة المحملة بالغيث، الكثيرة ، إشارة إلى وفرة ما فيها من الخير))[٦٨].

ويذكر المواطر بقوله:

مواطر الغيث حيي جانب الوادي وهدديه بإبراق وإرعاد[٦٩]

وهذا البيت غني بأبعاده الدلالية فنلحظ بين التحية والتهديد مقابلة قائمة على التضاد، وبين التهديد والإبراق والإرعاد علاقة الاشتمال والتدرج، وعلى الرغم من التضاد اللغوي الظاهر الذي تبديه ألفاظ هذا البيت الشعري، إلا أننا نلمح فيها تكاملاً من جراء انتقال الدلالة من الحقيقة إلى المجاز، بحيث تتحول هذه الألفاظ إلى معان جديدة مغايرة لمدلولها اللغوي وتصبح من مرادفات التحية بالغيث والخير.

ولفظة (مواطر) هي من الصفات التي حلت محل الأسماء، وهذا من قبيل التحول الدلالي من اسم الذات إلى الصفة، بحيث أصبحت تستعمل بديلاً عن الموصوف المحذوف لشهرته، كما يقال عند العرب في أسماء السيف والأسد والحصان، من ذلك قولهم: الباتر أو المهند. فالأولى صفة حلت بديلاً عن كلمة سيف في قولنا: سيف باتر، والثانية اسم شاع استعمالها كاسم من أسماء السيف، ومعناها المصنوع في الهند، فالشاعر في قوله (المواطر) يقصد الغيوم المحذوفة، وشاع استعمال المواطر لتدل عليها، ويسمى لمعان الغيوم، البرق وهو في الاصطلاح التعلق بالطبيعة: ((وميض السحابة ولمعانه، وهو مفرد جمعه بروق، ويقال برقت السماء لمعت))[٧٠].

أما الإرعاد أو الرعد فهو الصوت الحادث من اصطكاك السحب بعضها ببعض وهو في أصله اللغوي ما يدل على حركة واضطراب: فكل شيء اضطرب فقد ارتعد[٧١].

ومن ألفاظ الحقل الدلالي للسحاب لفظة ديمة، كما في قوله:

أتُرى كان يعوز الله ماء لو أتت ديمة علينا سكوب[٧٢]

والديمة: ((المطر الدائم في سكون، والمطر الذي لا يرافقه برق ولا رعد أقله ثلث النهار أو ثلث الليل، وأكثره ما بلغ من العدة، والجمع ديم))[٧٣].

وتبدو أهم الظواهر اللغوية لهذه المجموعة من خلال الأمور الآتية:

- بين السحاب والغيم علاقة ترادف باعتبار أن اللفظتين تربطهما الدلالة نفسها، دلالة واحدة في لفظتين مختلفتين.
- تتبدى علاقة الجزء بالكل بين الديمة والسحاب، فدلالة السحاب أكثر شمولاً لما يرافقها من برق ورعد.
- أما المواطر فيبدو من خلالها امتداد آفاق الدلالة لتشمل المبالغة في كثرة المطر وما يرافقه من برق ورعد، حتى تبدو وكأنها تعبر عن بعض حالات ثورة الطبيعة.

ألفاظ الليل والنهار: يعبر الليل والنهار عن ظاهرتين طبيعيتين متعاقبتين متلازمتين باستمرار، وفيهما سر الوجود وديمومته، وهما من أهم الظواهر في حياة الإنسان إن لم تكن أهمها. وفي تعاقب الليل والنهار جانب عقائدي فكري تكمن أهميته بالدلالة على وجود الخالق العظيم بديع السموات والأرض.

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: **(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)**[٧٤].

وهناك جانب حسي في هذا التتابع المتغاير، يتجلى بما يرافقه من جمال ليلي، وصباحي ومسائي.

((ووقت الليل من مغرب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق)) [٧٥]

ووردت لفظة الليل في ديوان الجواهري عدة مرات[٧٦]. وشبه الشاعر الليل بالصبي الذي يشعر بالوحشة وينتابه الخوف مع بدايته عند الغسق، وذلك بقوله:

الليل صبي في قرارته من وحشةٍ ما يفزعُ الغسقا[٧٧]

الغسق: ((غسق الليل: ظلمته، وقيل: أول ظلمته وقيل: غسقه إذا غاب الشفق))[٧٨]. وقوله تعالى: **(وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ)**[٧٩].

الوحشة: الخلوة والهم[٨٠].

في البيت تشبيه، وتشخيص، وترادف بين الليل والغسق مع تغاير دلالي جزئي وإن جمعتهما دلالة عامة واحدة، وهي الظلمة، وظلمة الليل أشد سواداً من ظلمة الغسق.

ومن ألفاظ الحقل الدلالي لليل أيضاً لفظة (الدجى)، الواردة في قوله:

الليــل عنــدك غيــر ما عرف الدجى في أرض غيرك والصباح المسفر[٨١]

والدجا: ((سواد الليل مع غيم وأن لا ترى نجماً ولا قمراً))[٨٢].

وكذلك لفظة الشفق ولفظة الأصيل الواردتين في قوله:

حتى إذا انتصف الأصيل به فتكوري في صلبه شفقا[٨٣]

الأصيل: ((هو الوقت بعد العصر إلى المغرب))[٨٤].

الشفق: ((بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل، ترى في المغرب إلى صلاة العشاء))[٨٥].

تتبدى بين الليل والشفق والأصيل علاقة الاشتمال باعتبار أن كلاً منها واقع ضمن ما بعده، ويطلق على هذه العلاقة اسم الجزئيات المتداخلة.

((أما النهار فهو ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولا يجمع))[٨٦].

ظهرت في ديوان الجواهري مجموعة ألفاظ ترتبط بالحقل الدلالي للفظة النهار، وذلك في معرض حديث الشاعر عن الليل وما يرافقه من وحشة وهموم، وكإشارة إلى واقع الأيام التي تختلف فيها الدلالات

وتتناقض آثارها على الإنسان لجهة ما ينتابه من مشاعر وأحاسيس، وهذه الألفاظ التي تنتمي إلى الحقل الدلالي للنهار، كما وردت في الديوان هي:

الفجر، الصبح، الأصيل.

الفجر: ((ضوء الصباح وهو حمرة الشمس في سواد الليل وهما فجران: أحدهما المستطيل وهو الكاذب والآخر المستطير وهو الصادق))[٨٧].وقد جاء في القران الكريم قوله تعالى: **(والفجر وليال عشر)**[٨٨] ووردت لفظة الفجر في قوله:

فإذا تفجرت الجموع وآذنت بالفجر تلك الليلة الصخباء[٨٩]

الصبح: "((أول النهار. والصباح نقيض المساء، والجمع أصباح))[٩٠]، وقوله تعالى:**(فَالِقُ الإِصْبَاحِ)**[٩١]. ووردت لفظة الصباح أربع مرات، ومنها قوله في معرض المقارنة مع الليل:

الليل عندك غير ما عرف الدجى في أرض غيرك والصباح المسفر[٩٢]

وتتجلى أهم الظواهر اللغوية في ألفاظ الليل والنهار في الأمور الآتية: تتصف العلاقة بين الليل والنهار بأنها علاقة تقابل بالخلاف مع مفهومٍ دالٍ على التضاد، ويتركز الخلاف بينهما بالمجيء والذهاب وكل منهما يخلف الآخر، ((فإذا ذهب الليل جاء النهار وبعده، وإذا ذهب النهار خلفه الليل، وكل شيء يجيء بعد الآخر فهو خلفه))[٩٣].

- وتبدو بين العديد من ألفاظ الليل علاقة ترادف مع تغاير دلالي جزئي، فالدجى يقارب الغسق دلالياً مع فارق دلالي في شدة الظلام، في الدجى إذا ما قيس بالغسق، والغسق أشد ظلاماً من الأصيل باعتبار أن الغسق فيه الكثير من الظلمة، وبالمقابل تلمح في الأصيل بروزاً واضحاً للنور الذي تخالطه الظلمة.
- ونلحظ علاقة الجزئيات المتداخلة بين ألفاظ الليل والنهار وبخاصة مع ألفاظ الفجر والشفق والأصيل.
- وتبدو علاقة الجزء بالكل بين ألفاظ النهار كالصبح والأصيل والفجر، وكذلك الأمر بين ألفاظ الليل، الدجا، الليل، الغسق.
- وفي التشابيه انتقال من الحقيقة إلى المجاز عبر التشخيص الفني وما يرافقه من دلالة على الحالات النفسية كالوحشة والفزع.

الأزمنة وأيام السنة:وردت في ديوان الجواهري ألفاظ تبدت فيها دلالات على الأزمنة وأيام السنة في معرض حديثه عن الفصول وتغنيه بمزاياها وصفاتها وأحوالها وما تمتاز به في كل فصل من السنة. وتميز كل فصل بصفات انفرد بها وجاءت غنية بالدلالة على أحواله ومزاياه. وأهم الألفاظ المميزة لكل منها.

الشتاء: ((أحد أرباع السنة، وقيل: الشتاء جمع شتوة، وجمع الشتاء أشتية. يبدأ بأول السنة أول الشتاء لأنه ذكر والصيف أنثى))[٩٤]. ومن ألفاظ الشتاء(الثلج)كما في قوله:

صب الشتاء الثلج فوق الرُبى يرفعه فيها طباقاً طباق[٩٥]

والثلج في اللغة: الماء المتجمد الذي يسقط من السماء[٩٦].

تقوم بين الثلج والماء والشتوة علاقة ترادف من حيث وجود الماء فيها جميعاً مع فروق جزئية مميزة لكل منها. فلفظة ثلج تدل على الماء المنتقل من حال إلى حال، والشتوة هي المطر المتساقط في فترة من اليوم.

((والربيع جزء من أجزاء السنة، وهو الفصل الذي يتلو الشتاء، وتأتي فيه الكمأة والنور))[٩٧].

حظي هذا الفصل بالنصيب الأكبر من عناية الشاعر لطيب زمانه ووفرة نباتاته وأزهاره، وللمحاسن الكثيرة التي تميزه من عطر وزهر وماء وخضرة، وكل ذلك في جو مناخي مميز. من ذلك قوله:

جاء الربيع الطلق فاستبشري غريمك البرد طريدٌ طليق[٩٨]

الطلق: ((يقال يوم طلق بين الطلاقة وليلة طلقة مشرقة لا برد فيها ولا حر ولا مطر ولا قر))[٩٩].

الطريد: ((الرجل يولد بعد أخيه، فالثاني طريد الأول، يقال هو طريده والليل والنهار طريدان، كل واحد منهما طريد صاحبه[١٠٠]). ومن معانيه في الربيع، قوله:

رد الربيع صنوف الحسن يقسمها شطرين ما بين أنشاز وأوهاد[١٠١]

أما الصيف، فكان فصلاً أثيراً عند الجواهري، تغنى به وأشاد بمحاسنه وطيب أيامه.

والصيف: ((من الأزمنة، جمعه أصياف وصيوف. يقال: صيفت الأرض: أصابها الصيف، وأصاف القوم: دخلوا في الصيف))[١٠٢].

حتى إذا الصيف انبرى واغتدت تصبح الأرض بكأس دهاق[١٠٣]

دهاق: وكأس دهاق: مترعة ممتلئة ويقال: أدهقت الكأس إلى أحبارها أي ملأتها إلى أعاليها[١٠٤]، وقوله تعالى (**وَكَأْساً دِهَاقاً**) [١٠٥].

وفي انقضاء الصيف يقول:

مضى الصيف مقتاداً من الحسن فيلقاً وجاء الشتا زحفاً إليها بفيلق[١٠٦]

فيلق: ((العظيم وأصله الكتيبة العظيمة))[١٠٧].

تبرز بين الصيف والشتاء علاقة تضاد حاد، وفي تكرار لفظة (فيلق) وهي تعني: إن الصيف العظيم بجماله وحسن طبيعته، يوحي بأن هذه اللفظة جاءت بمعنى الشيء، ونقيضه فهي هنا من الأضداد لارتباطها بمفهوم التضاد القائم بين الصيف والشتاء. ففي المرة الأولى مع الصيف وفي الثانية مرتبطة بالشتاء وما يرافقه من برد وعواصف ورهبة. فهي تعني الحسن كما تعني الخوف والرهبة.

أما الخريف فلم يرد ذكره إلا في بيت واحد، وبشكل عابر ((والخريف في اللغة: أحد فصول السنة من آخر القيظ وأول الشتاء، وسمي خريفاً لأنه تخرف فيه الثمار أي تجتنى))[١٠٨]، وفيه يقول:

ما الصيف سبّط من جدائله جاء الخريف له يُجعّده[١٠٩]

الجدائل: ((الجدل: كل عظم موقر لا يكسر ولا يخلط به غيره))[١١٠].

يجعده: ((رجل جعد اليدين بخيل))[١١١].

وأهم الظواهر اللغوية لألفاظ الفصول وحقولها الدلالية:

-تبرز فيما سبق علاقات منوعة، فهي تمثل علاقة التضاد الحاد القائم بين الصيف والشتاء، والتضاد العكس القائم بين الجدائل التي ترمز إلى الشباب ووفرة العطاء ولفظة يجعده التي ترمز إلى البخل والعجز.

-ونلحظ أيضاً انتقال دلالة الكثير من الألفاظ من مجال إلى مجال.

-ونجد في تتابع الفصول دلالة من دلائل التضاد وهي تعبر عن الجزئيات المتتابعة. وتبدو لفظة فيلق كمشترك لفظي بين معنيين متناقضين من الحقيقة إلى المجاز وفي هذا الحالة إثراء للتعبير وشيء من المبالغة. من هذه الألفاظ والتعابير: اغتدت الأرض، اقتاد فيلقاً، زحف الشتاء.

المبحث الثاني/ألفاظ دالة على الطبيعة الأرضية

الأرض وما يتعلق بها:

الأرض أم الكائنات ومواطنها ومصدر رزقها وميدانها الفسيح، وهي إلى جانب ذلك ((واحة خير وموئل حسن ومهوى أفئدة ومثار ذكريات لها في خواطر الناس آثار جميلة وفي وجدان الشعراء ذكريات غالية: فهي الملهم الأول لكل كاتب وشاعر والمصدر الغني العذب لكل فن من الفنون))[١١٢].

ويتضح من جراء استقصاء الحقب التاريخية التي مر بها الأدب العربي أن البيئة الطبيعية كانت منذ أقدم العصور مصدر وحي الشاعر عبر عن تعلقه بها حيث انطلقت فيها نفسه، وجادت قريحته، وجاء شعره معبراً عن تعلقه ببيئته ورياضها الجميلة وآفاقها الفسيحة. ومن مظاهر وحي الطبيعة وفرة الأبيات والمقاطع في وصف الرياض والفلاة والسهول والجبال والأودية والغيث والشجر والنبات وعلى العموم فقد استوحى الشاعر العربي الأرض العربية وصور تلك الطبيعة التي احتلت مكانة واسعة في شعره فصورها معبراً عن علاقة حميمة ببيئته التي عاش فيها وأحبها وتأثر بمعطياتها.

وردت لفظة الأرض في ديوان الجواهري خمسة عشر مرة، والأرض ((التي عليها الناس والكائنات، اسم جنس مؤنث))[١١٣] وغالباً ما وردت معرفة بأل التعريف، أو بالإضافة. يقول واصفاً روضة مكسوة بالنبات والزهر بفعل الغيث.

فقد أضحت الأرض مخضرةً تضاحك عن شمل حسن جميع[١١٤]

وتكررت لفظة الأرض أربع مرات في الأبيات الثلاثة الآتية وذلك في قوله:

حتى إذا الصيف انبرى واغتدت تصبح الأرض بكأس دهاق[١١٥]

لا عرت أرضك من لطفٍ فقد ضمن الحسن لها جو لطيف[١١٦]

ولست ببائع أرضي بأرضٍ وإن لم ألق فيها ما يسر[١١٧]

وتسمى الأرض ((**ربعاً** إذا كانت خصبة فيها كلأ))[١١٨] وقد وردت لفظة ربع في ديوانه ست مرات[١١٩]، ومنها قوله:

والله لولا ربوع قد ألفت بها عيش الأليفين أرجوها وترجوني[١٢٠]

لقد رفع الشاعر الربوع من الجهد إلى مصاف البشر، وأقام معها علاقة وجدانية بالمحاكاة والألفة وفي هذا كله تخطت الربوع معناها المعجمي بانتقالها من الحقيقة إلى المجاز عبر التشخيص وبث الحياة فيها عبر الحوار والرجاء.

وغالباً ما يرتبط ذكر الربوع بالسرور وطيب المناخ وحسن الإقامة لما تحفل به من مفاتن وجمالات تغري الزائرين من ذلك قوله:

ربوع مسرّة طابت مناخاً وراقت مربعاً وحلت مقيلاً[١٢١]

ونلمح علاقة الجزء بالكل بين الربوع والمناخ باعتبار أن المناخ جزء منها.

وقد وردت لفظة الأرض في شعره بقوله:

ولقد يغضبون إذ ينزل الغيث شحيحاً... والأرض عطشى تلوب[١٢٢]

الشيء غير أن تؤنسني تظهر الأرض بهذا المظهر[١٢٣]

عمد الشاعر إلى التشبيه بألفاظ خاصة معبراً من خلالها عن دلالات عامة وهذا من باب توسيع الدلالة وتعميمها وبخاصة في استعماله الخفيف للدلالة على الأوراق المتناثرة بفعل الريح، ولفظة المعبرة عن كثرة الأزهار والأعشاب المتنوعة بألوانها وأشكالها هو بما فيها من عطر يتضوع، ولفظة ودادي المعبرة عن المعاني الرقيقة والقيم الجمالية الكامنة في الشعر. وذلك بقوله:

أنا الحنيف وهذي الأرض معشبة سجادتي ورقيق الشعر أورادي[١٢٤]

والشاعر مرة يصور الأرض كأنها تلوب من العطش والفلاح يغضب عندما ينزل الغيث شحيحاً ومرة أخرى يصف الأرض كالسجادة دلالة على العشب الذي يغطى هذه الأرض. وفي الألفاظ الثلاث: تلوب، العطش، تغضب تشخيص، وانتقال بالدلالة من الحقيقة إلى المجاز.

الجبال والسهول:

الجبال:وردت لفظة جبل في شعر الجواهري تسع مرات، والجبل ((اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال))[١٢٥].

غالباً ما ارتبطت في شعر الجواهري، لفظة الجبل بالثلج الذي يضفي عليه من الجلال والعظمة ويجمله من ذلك قوله:

إنما جللها الثلج الذي غمرت منه جبال وكهوف[١٢٦]

الكهف: ((كالمغارة في الجبل والكهف كالبيت المنقور في الجبل وجمعه كهوف))[١٢٧].

المنحدرات (حدر): الانحدار: ((الانهباط، والموضع منحدر، وهذا منحدر من الجبل ومُنحدر))[١٢٨].

وقوله:

عجبي بزهو صخوره وجباله عجبي بمنحدراته وسهوله[١٢٩]

وتبدو من الناحية الدلالية علاقة الجزء بالكل بين الجبل والمنحدر والكهف، وعلاقة التضاد بين الجبل والسهل.

ومن قوله في مجال المديح:

كأنما هو في آذيّه جبل على الضفاف مطل وهي تنحدر[١٣٠]

ويعد الجبل مصدر خير للأرض والزرع لما يختزنه في داخله من ماء يروي الأرض وينعشها ويجعلها مواسم خير وعطاء، وترتبط بالجبل مجموعة من المفردات المعبرة عن المعاني الدالة على (الحقل الدلالي) للجبل ومنها الثلج والماء .

ويسمى الجبل أحياناً بأسماء أخرى، منها: ((أخشب وجمعها أخاشب وهو جبل مشرف على وجهه ويقال الخشن الغليظ الذي لا يرتقي))[١٣١].

ومن مفردات الجبال: ((الأطود، ومفردها طود. وهو الجبل العظيم))[١٣٢].

وقد ورد في القرآن الكريم في موضع واحد شبه به افتراق ماء البحر بعد ضرب موسى عليه السلام له إذ قال تعالى **(فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ)**[١٣٣]، ومن الجبال (الحقائب) ((وهو جبل معروف))[١٣٤].

والجبال الثوابت تسمى (رواسي) وتسمى (راسيات) ومفردها راسٍ ((وهو في الأصل صفة للجبل، معناه ثابت. ثم صار لكثرة الاستعمال اسماً له))[١٣٥] وقد جاءت في القرآن الكريم **(تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ)**[١٣٦].

((أما رؤوس الجبال فتسمى الشواهق))[١٣٧] وتسمى شاهقات فلها صيغتان أيضاً، كما هو حال رواسي وراسيات ومفردها شاهق. والرواسي في الأصل صفة للجبال لكونها ثابتات ثم صارت اسماً دالاً عليها لكثرة الاستعمال.

ومن الألفاظ الدالة على أجزاء من الجبل لفظة ((أحضان جمع حضن))[١٣٨] وهو أسفل الجبل وجانبه وهي تمثل علاقة الجزء بالكل بالنسبة إلى الجبل وسفح[١٣٩] الجبل هو عرض الجبل المضطجع وأسفله يشكل السفح علاقة الجزئية بالجبل.

أهم الظواهر اللغوية:

- وجود علاقة الجزئية بين الجبل والمنحدر والصخور.
- وفرة الألفاظ الغنية بالتشخيص والتجسيم الفني والتشبيه.

- وجود علاقة الاشتمال بين الجبل والثلج والكهف.

السهول:السهول جمع سهل ((وهي الأراضي المستوية، وأسهل القوم: صاروا في السهل، وبالنسبة للأرض السهلة: سهلي))[١٤٠] وجاءت لفظة السهل في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى **(تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً)**[١٤١].

وردت لفظة السهل (سهوله) مرة واحدة في ديوان الجواهري، وذلك في معرض وصفه لنهر الفرات وما يحيط به من محاسن ممثلة بالرياض والسهول والزرع والشجر وذلك بقوله:

عجبي بزهو صخوره وجباله عجبي بمنحدراته وسهوله[١٤٢]

أهم المظاهر اللغوية للسهل: وجود علاقة تضاد بين السهل والجبل، وجود علاقة الجزئية بين الصخور والجبال وفي السهول دلالة على الخير والعطاء.

الأودية: الوادي في اللغة هو((المنخفض من الأرض ويقصد به كل مفرج بين الجبال والتلال))[١٤٣] ((والآكام وسمي بذلك لسيلانه الآكام: هي التلال))[١٤٤] وقد وردت بصيغة المفرد ثلاث مرات وبصيغة الجمع ست مرات يقول:

يوم من العمر في واديك معدود مستوحشات به أيامي السود[١٤٥]

هذا البيت جزءٌ من قصيدة ألقاها الشاعر في مدينة (زحلة) عندما كان يصطاف في لبنان وهي مدينة جميلة استهوت الشاعر فتغنى بمحاسنها وعبر عن تأثراته بواديها المشهور وفي البيت مقارنة قائمة على التضاد بين (يوم من العمر) و(الأيام السود).

أهم المظاهر اللغوية فيه تتمثل بتخطي المعنى اللغوي إلى المعنى المجازي الذي عبر عن أحوال الشاعر. كما في قوله:

يا موطن السحر إن الشعر ينعشه فيض من الحسن في واديك معهود [١٤٦]

بين الوادي والسحر والحسن قرابة دلالية قوامها الاشتمال القائم بين السحر والحسن اللذين يشكلان جزءاً من صفات هذا الوادي الجميل.

ألفاظ الريح والرياح:

الريـــح : ((هواء فيه قوة، بخلاف الرياح التي هي نسائم))[١٤٧] وقد جاءت في القرآن الكريم في سياق تشبيه أعمال الكافرين قال تعالى (**أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ)** [١٤٨].

تعددت الأسماء التي وضعها العرب للريح وتباينت إيحاءاتها ودلالاتها تبعاً لمواضع انطلاقها واتجاهاتها. فالريح الآتية من مطلع الشام هي الشمال، وقد تشاءم منها العرب لأنها تحمل البرد والصقيع شتاءً من دون المطر، والتي تهوي من مطلع الشمس هي (الصبا) وكانت العرب تجعل بيوتها إزاء الصبا مُطلع الشمس، أما الجنوب فهي ريح يمانية لأن مهبها من اليمن، وقد تفاءل بها الناس لأنها تبشر بالمطر شتاءً. والدبور: ((الريح التي تقابل الصبا، القبول ريح تهب من الغرب))[١٤٩].

وردت لفظة الريح في شعره:

أقول وقد شاقتني الريح سحرةً ومن يذكر الأوطان والأهل يشتق[١٥٠]

ومن الظواهر اللغوية للفظة الريح في هذا البيت، انتقال الدلالة من أصلها اللغوي الدال على مركز الانطلاق إلى معنى آخر على علاقة بوقت انطلاق الريح وهو وقت السحر، وأصبحت غنية بالقيم والمعاني الوجدانية ومنها الشوق والحنين.

وذكر ريح العراق بقوله:

وهل ننتشي ريح العراق وهل لنا سبيل إلى ماء الفرات المصفّق(١٥١)

يلاحظ انتقال الدلالة للفظة ريح من أصلها الدال على المنطلق وهو العراق إلى التعبير عن أثر الريح في النفس والوجدان.

هبَّ عليلاً ريحها لا صحا وماس سكراً روضها لا أفاق(١٥٢)

إلى جانب انتقال الدلالة فيه من التعبير عن قوة الهواء وشدته إلى الدلالة على الرقة واللطافة وقد ركز على أثر الريح في الروض والزهر وأقام مشاركة وجدانية بينها، وهذه العلاقة تشعر بضرب من المجاز بأسلوب التشخيص الفني للريح الذي جعلها مع الرفض في حال من السكر.

النسائم : وردت لفظة النسائم في شعره :

وانت يا قارباً تلوي الرياح به لي النسائم اطراف الافانينِ

ألفاظ الماء: للماء في وجدان الإنسان العربي أثر جميل لا يزول لأهميته في حياة الناس والمخلوقات والكائنات جميعاً، ولا عجب في ذلك فالعربي منذ العصر الجاهلي يتلهف إلى الماء فينشده ويرحل في سبيله ليحل بقربه بغية العيش والارتواء من الظمأ، فالبدوي إذا دعا قال: سقياً ورعياً، وإذا مدح ممدوحة قال: فياض غزير، يداه بحر أو غمامة، وإذا ذكر الفتوه قال: ماء الشباب ماء الحياة. وقد ذكرت الكتب الدينية والأحاديث الشريفة وجوه فائدته، وأشارت إلى ضرورة الحرص عليه واجباً دينياً، فأكثر الناس والشعراء من ذكره في الشعر والحكم والأمثال المستمدة من واقع الحياة. وبسببه ارتحلت القبائل ودارت الحروب بين الأفراد والشعوب، واشتدت أهميته في العصر الحديث وتعاظمت بسبب الحاجة إليه مادةً ترتبط بالحياة والمصير.

إذاً كان ديوان الجواهري حافلاً بالألفاظ والتراكيب التي تتحدث عن الماء وتبرز وجوه فائدته في البحر أو النهر أو الينابيع، ووردت ألفاظ تدل على الماء وجريانه سواء كان غزيراً أم ضعيفاً وكان أكثرها شيوعاً في ديوانه: لفظتا الماء والنهر.

<u>البحر:</u>هو ((الماء الكثير المعروف، وهو خلاف البر، سمي كذلك لعمقه واتساعه وانبساطه. وأجمع أهل اللغة أن اليم هو البحر))(١٥٣).

لم نلمح لفظة البحر في ديوان الجواهري إلا في بيت واحد يتحدث فيه عن حال الغضب، وذلك في قوله:

بينا هو البحر لا تسطاع غضبته إذا استشاط فلا يبقي ولا يذر(١٥٤)

فإذا كان المعنى اللغوي للفظة البحر يركز على العمق والاتساع فإن الشاعر ركز على المجاز وتخطى الدلالة اللغوية ليعبر عن حال الغضب والثورة التي تأخذ بكل شيء. وفي هذا التصوير ابتعد الشاعر عن المعاني الشائعة في الشعر العربي الذي يربط البحر دلالياً بالكرم والعطاء. وأبرز الوجه الآخر الذي هو أيضاً يعبر تعبيراً واضحاً أيضاً عن أحوال البحر في حال الهيجان. ويبدو أنه ركز على علاقة التضاد القائمة بين الشيء وما يخالفه. ومن الظواهر اللغوية كذلك علاقة الجزء بالكل بين البحر والغضب.

<u>النهر</u>: أما لفظة النهر بمعناها اللغوي فيقصد بها ((الماء إذا جرى في الأرض وجعل لمجراه موضعاً مكيناً))(١٥٥).

من ألفاظ الماء مما ورد في ديوان الجواهري (المسيل) ومن ذلك قوله:

ووزع الماء عدلاً في مسايله فكل ناحيةٍ يجري بها نهر(١٥٦)

الجداول: جمع جدول وهو ((النهر الصغير، نهر الحوض ونحو ذلك من الأنهار الصغار، والتي يقال إنها جداول))[١٥٧].

ومن المفردات الدالة على الحقل الدلالي للماء والنهر قوله:

فلكم تخالف في المسيل جداولٌ فاضت معاً وتفجّرت ينبوعاً[١٥٨]

الينابيع: جمع نبع: ((نبع الماء، وينبع نبعاً وينبوعاً، خرج من العين، والينبوع عين الماء الجمع ينابيع))[١٥٩]، قال الزمخشري في قوله تعالى (**قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً**)[١٦٠] أي عيناً غزيرة من شأنها أن ينبع الماء منها ولا تنقطع.

ومن المفردات الدالة على الحقل الدلالي للماء والنهر قوله:

فلكم تخالف في المسيل جداولٌ فاضت معاً وتفجّرت ينبوعاً

الريع: المكان المرتفع الذي يبدو من بعيد، ومن ذلك قولهم: كم ريع أرضك أي كم ارتفاعها، ومنه قيل: ريع البئر والجمع أرياع وريعة.

ومن ألفاظ الماء (الريع) ومن قول الجواهري:

ولم لا تريع بأريافها بلاد تسيل بماء مريع[١٦١]

أما أهم الظواهر اللغوية في المفردات الدالة على الماء:

- استعمال الشاعر لفظة الماء استعمالاً مجازياً للدلالة على الخير والكرم.
- تبدو بين المفردات الدالة على مواضع الماء علاقة تقارب دلالي وهي الجدول وهو النهر الصغير والنبع والمسيل.
- وجود علاقة ترادف غير تام بين المسيل والريع وعلاقة اشتمال بين الينبوع والجدول والنهر فكل شيء منها واقع ضمن ما بعده.

ومن مظاهر الدلالة على عناية الشاعر بالماء وما يرافقه من خير عميم على الأرض والبشر تخصيصه نهري دجلة والفرات بقصائد تامة متخذاً من كل منها موضوعاً لها مع ذكر بعض الأنهار الصغيرة التي تشكل روافد لكل منها ومنها نهر فويق، وذلك بقوله:

ولقد رأيت فويق دجلة منظراً الشعر لا يقوى على تحليله

شفقاً على الماء استفاض شعاعه ذهباً على شطآنه وحقوله[١٦٢]

وكما يبدو هناك علاقة ترادف غير تام بين فويق ودجلة فكلاهما يدل على جريان الماء مع وجود فروق دلالية تربطهما علاقة الاشتمال باعتبار أن فويق يشكل رافداً من روافد دجلة.

دجلة: حظي دجلة بالنصيب الأوفر من عناية الشاعر وعنايته لتأثره بمحاسنه وفوائده وقد ذكرت لفظة دجلة في قصيدة واحدة خمساً وعشرين مرة وجميعها مضافة إلى الخير (يا دجلة الخير) ومصدرة بحرف النداء (يا).

وتبدت في الحقل الدلالي للفظة (دجلة) مفردات متعددة من أبرزها:

العيون– النبع– المجاري، الموج، الخير.

ويلاحظ في القصيدة التي خص الجواهري بها نهر دجلة أن هذا النهر تبدت فيه دلالات تعدت المعنى اللغوي للفظة إلى معان تعبر من خلالها عن أبعاد جديدة على سبيل التشبيه والتشخيص وإقامة العلاقة الوجدانية بين الشاعر والنهر من ذلك: تشبيه الشاعر مياه النهر بالأطياف والخمر وبالكنز المخزون في الجبال:

يا دجلة الخير يا أطياف ساحرةٍ يا خمر خابية في ظل عرجون[١٦٣]

يا دجلة الخير كم من كنز موهبةٍ لديك في القمقم المسحور مخزون[١٦٤]

أما التشخيص والانتقال إلى المجاز فيبدو في مثل قوله:

يا دجلة الخير ما يغليك من حنقٍ يغلي فؤادي، وما يشجيك يشجيني[١٦٥]

يا دجلة الخير لم نصحب لمسكنةٍ لكن لنلمسُ أوجاع المساكين[١٦٦]

وفي قوله: ما يغليك يغليني، ما يشجيك يشجيني تجاوز الشاعر التشخيص إلى التعبير عن المشاركة الوجدانية التي أقامها بينه وبين النهر.

وتبرز الظواهر اللغوية في هذه الأبيات من خلال الأمور الآتية:

-للفظتي خير ومساكين علاقة بالمسمى المحذوف (نهر، الناس) وفي حذفه مع الإبقاء على المضاف إليه نوع من التركيز على أسلوب التشخيص الفني، بتشبيهه بالإنسان.

-أن تكرار حرف النداء (يا) بشكل لافت يوحي بانتقال الدلالة من أصلها إلى التعبير عن معانٍ جديدة عن طريق التشبيه.

-هناك ترادف جزئي بين لفظتي خير ومخزون وكلتاهما تعبران عن أهمية هذا النهر.

-عبر الشاعر عن حالي الإعجاب والدهشة باستعماله (كم) الخبرية وهي تفيد معنى الكثرة والتعاظم وتفصح عن البعد الدلالي للفظة "مخزون" المرتبطة بلفظة الخير، وهي بمعنى المكتنز.

الفـــرات: من خلال الحديث عن الماء لابد من ذكر نهر الفرات العظيم الذي ورد لفظه في ديوانه تسع مرات والفرات (من أكثر الماء عذوبة)[١٦٧].

وقد وردت في متون القصائد التي يذكر فيها الجواهري نهر الفرات ألفاظ تدل على الماء،وكان غرض الشاعر منها إظهار محاسن هذا النهر ومباهج الطبيعة من حوله، فمن ذلك لفظة:

(الشاطئ) ويقصد بها ضفة النهر.

تربط الشاطئ بالنهر علاقة الجزئية.

نجد بين الألفاظ الدالة على موضع الماء علاقة تقارب دلالي، من ذلك:

الشاطئ- خرير الماء- الفياض- صليل الماء....

ويخاطب الشاعر نهر الفرات منادياً:

يا فراتي وهل يحاكيك نهر في جمال الضحى وبرد العشي[١٦٨]

رسم الشاعر للفرات صورتين تبدّى الجمال فيهما بشكل لافت: صورة الفرات وقت الضحى وصورته بالعشي.

وفي النداء دلالة ومظهر من مظاهر الآلفة بين الشاعر والفرات، أما ياء النسبة فالدلالة فيها على الإعجاب والتملك واضحة لا لبس فيها أما قوله:

ألفيتُ حسن الشاطئين مرقرقاً غضاً وخِصْب الشاطئين مريعاً[١٦٩]

فلعل الشاعر هنا يقصد بالشاطئين: شاطئ دجلة وشاطئ الفرات.

في هذا البيت دلالة على الخصوبة التي تميزت بها الأرض المحيطة بالنهر، أنها خصوبة المرابع في تلك الشواطئ بفضل المياه العذبة.

ووردت لفظة (الرافدين) في ديوان الجواهري أربع مرات[١٧٠]، ويقصد بها نهري دجلة والفرات[١٧١]. وذكر الشاعر الرافدين في معرض حديثه عن حقوق شعبه في خيرات أرضه المحيطة بالنهرين، يقول:

شعبي يريد الرافدين لنفسه لا أن يكون الرافدان منائحاً[١٧٢]

وتبدو علاقة التضاد بين شطري البيت من خلال لفظتي نفسه ومنائح. وتخطت لفظة منائح مدلولها اللغوي إلى المعنى المجازي يقصد به سلب خيرات الشعب العراقي عن طريق استئثار الإقطاعيين والحاكمين بخيرات الرافدين ومنعها عن العاملين من أبناء الشعب.

نهر النيل:لم يقف الشاعر عند نهري دجلة، والفرات في حديثه عن فوائدهما، وعن الخير المتنامي على ضفافهما، بل تعدى ذلك بدافع من شعوره القومي إلى التغني بنهر النيل لما يزخر به من خير وما يندرج حوله من مفاتن الطبيعة، وذكر أهميته في حياة المصريين بوصفه مصدراً للخير يبعد عنهم شبح الجفاف والفقر، ولوفرة فوائده توقف عند أهميته التي أفاضت خيراً وحياة حتى صح ما قيل سابقاً "مصر هبة النيل" بقوله:

يا مصر تستبق الدهور وتعثر والنيل يزخر والمسلَّةُ تُزهرُ[١٧٣]

وقوله بعد إقامة مشاريع الري والكهرباء مناشداً أمواج النيل بحمل مثل هذه الخيرات إلى العراق عن طريق المشاريع المماثلة على نهري دجلة والفرات، يقول:

يا موجة النيل احملي تياره علّ العراق تهزَّهُ عدواك[١٧٤]

ففي النداء استعارة وتشخيص يرقى بالمنادى إلى مصاف البشر، وفي ذلك انتقال من الحقيقة إلى المجاز، وبعد دلالي يوحي بضرورة استغلال مصادر الخير في الطبيعة لمصلحة الإنسان، وفي لفظة عدوى أيضاً مشترك لفظي فالعدوى أصلاً انتقال للمرض، ويبقى فيها هنا معنى الانتقال إلا أنه انتقال للخير من أجل الإنسان.

<u>الرياض:</u> وردت لفظة الرياض في شعر الجواهري ست مرات[١٧٥].

<u>الروضة</u>: في اللغة هي ((الأرض ذات الخضرة، والروضة: البستان الحسن، وهي الموضع يجتمع فيه الماء؛ فيكثر نبته، وقيل: الروضة عشب، وماء، ولا تكون روضة إلا بماء معها أو إلى جنبها))[١٧٦].

ومن قوله في الروض:

أنا والروض وأشباحكم نتناجى تحت نور القمر[١٧٧]

وهنا نلحظ استعمال ضمير المتكلم (أنا) مع الروض فيه تشخيص للروض، ومشاركة وجدانية وإحياء للجماد.

والمناجاة: الحديث مع الذات، أو مع من تربطنا به علاقة حميمة، وفي قوله تناجي أحياء وتشخيص لكائنات الطبيعة وبعد دلالي يعبر عن معاني الألفة بين الإنسان والطبيعة وفي الرياض المزهرة يقول:

يا رياضاً زهرت في فارسٍ شكرتْكن عُيُون وأُنوف[١٧٨]

العيون: حواس البصر، والأنوف: حواس الشم، وفي اللفظتين انتقل المعنى من الحقيقة إلى المجاز عن طريق التشخيص الفني الدال على الأثر الذي يتركه الروض بأزهاره الجميلة وعطره المنعش في الإنسان. كما تبدو الصلة الدلالية وثيقة بين الرياض والعيون والأنوف، وكل لفظة تعبر عن دلالة خاصة بها.

فالرياض فيها دلالة على اللون، والعطر، والعيون لها علاقة باللون كما أن الأنوف فيها خاصية التقاط العطر ونشر أثره على الإنسان وتعبر هذه العلاقات الدلالية عن ميزة فلما أظهرت في الشعر العربي وهي ميزة

تآلف الحواس وتراسل الصور، فالعين نلتقط الصورة وتتأثر بجمال المشهد والأنف ينتشي بالعطر وكل حاسة تساهم في جعل الإنسان يعيش حالات من النشوة والسعادة.

ألفاظ النبات:

المجال الدلالي لألفاظ النبات:

((النبات لدى علماء الطبيعة متوسط بين المعادن والحيوان أي أنه خارج عن الصفة الجمادية الصرف التي للمعادن، كما أنه غير مكتمل الحس والحركة التي امتاز بها الحيوان، وإن شاركه في بعض صفاته إذ لا حاجة عنده للحس والحركة بخلاف الحيوان))[١٧٩].

والنبات قسمان: شجر ونجم[١٨٠].

الشجر: ((هو كل ما لهُ ساق صلب من النبات، والشجرة الواحدة تجمع على شجر وشجرات وأشجار، وقيل الشجر كل ما سما بنفسه))[١٨١].

وأما النجم: ((فهو كل نبت ليس له ساق صلب مرتفع، وذلك مثل الزرع، والبقول الحشائش البرية))[١٨٢].

ويطلق على مجموعة من الأشجار، ذكر الجواهري فيها: النخيل والتوت والتين.

النخيل: اعتبره الجواهري أشرف الشجر، وجاء ذكره كثيراً في القرآن الكريم، قوله تعالى **(وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ)**[١٨٣].

ومما قاله الجواهري في النخيل:

وردنا ماء دجلة خير ماءٍ وزرنا أشرف الشجر النخيلا[١٨٤]

وقوله أيضاً:

أحبابنا بين الفرات تمتعوا بالعيش بين مياهه ونخيله[١٨٥]

والنخيل ((شجر مبارك لا يوجد إلا في بلاد الإسلام))[١٨٦]، ويبدو أنه في الأصل كان كذلك، ثم انتقل إلى بلدان أخرى. والنخيل مفرده نخلة وهي شجرة التمر.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب التمر ويحب النخل حتى أنه قال "**إني لا أعرف شجرة بركتها كالرجل المسلم النخلة**"[١٨٧] وأنها تشبه الإنسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها وأنقاها واختصاصها باللقاح[١٨٨]، ولسعفها وهو شعر الإنسان الذي في قمة رأسه.

ويبدو ذكر الجواهري للنخيل باعتماد صيغة التفضيل من قبيل الإعجاب بشجر النخيل الذي يرمز إلى الخير والبركة. "أشرف النخيل".

الزيتون: من الأشجار المباركة الكثيرة الفوائد، اقسم الله بها في القرآن الكريم لعموم نفعها فوصفها في قوله تعالى: **(شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ)**[١٨٩].

((والزيتون شجر معروف، والزيت دهنه، واحدته زيتونة، ويقال للشجرة نفسها زيتونة، والجمع الزيتون والدهن الذي يستخرج منه هو الزيت))[١٩٠]. وقد وردت لفظة الزيتون في شعر الجواهري في قوله:

يا سكتة الموت، يا أعصار زوبعةٍ يا خنجر الغدر يا أغصان زيتون[١٩١]

الغصن: غصن الشجر، وهو ما تشعب عن ساق الشجرة: دقاقها وغلاظها، والجمع أغصان وغصون وأغصنه[١٩٢].

فنـــــن : وقوله :

وانت يا قارباً تلوي الرياح به لي النسائم اطراف الافانينِ

وردت لفظة افانين بمعنى الغصون .

التوت: ((الفرصاد واحدته توته، ثمره يؤكل، وطعمه حلو ولذيذ))[١٩٣]. وقد ورد ذكر التوت في ديوان الجواهري مرة واحدة، وذلك بقوله:

والساترين بشتمي عُري سوأتهم كخصف حواء دوح التوت والتين[١٩٤]

التين: التين الذي يؤكل، والتين شجر البلس، وقيل: هو البلس نفسه، واحدته تينة وقد جاء ذكره في القرآن الكريم، وقيل التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقيل: التين والزيتون جبلان بالشام[١٩٥] وقد جاء لفظ التين في القرآن الكريم (**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**)[١٩٦].

إن ما ذكر عن علاقة التين بدمشق، والزيتون ببيت المقدس، وتسمية الزيتون، والتين بجبلين في بلاد الشام، فيه دلالة على كثرة وجود أشجار التين والزيتون في المناطق المذكورة. من باب تسمية المنطقة بما اشتهرت به.

وتتبدى الظواهر اللغوية لهذه المجموعة من خلال العلاقات الدلالية الآتية:

- المجال الدلالي للفظة شجر ويشمل النخيل، والزيتون، والتوت، والتين تتبدى فيها دلالة واحدة.
- وفي قوله: يا أغصان زيتون. فالعلاقة هنا هي علاقة الجزء بالكل فالغصن جزء من الشجرة وليس نوعاً منها.
- ومن الدلالات اللغوية في لفظة (النخيل) أنها من الألفاظ التي يستوي فيها التذكير والتأنيث باعتبار أنها وردت في القرآن الكريم وفي الشعر القديم تارة بصيغة التذكير وأحياناً بصيغة التأنيث.

العشب: يعبر في اللغة ((بلفظة نبت عن كل ما نبت بفعل الطبيعة على التربة وذلك بتأثير المطر فيها أو بتأثير السيول والرطوبة والمياه الجارية وما شابه ذلك مما يشكل سبباً لنبت النبات. ويقال نبتت الأرض ونبت الكلأ وكل ما أنبت الله في الأرض فهو نبت ونبات))[١٩٧].

من النبات الزرع وهو ما يزرعه الإنسان لغذائه.

وذكر الشاعر من الأعشاب النبات، والأزهار، والرياحين، والزرع وتشكل جميعها الحقل الدلالي للفظة عشب وهي:

الزهرة: ((هي نور فيه بياض وحمرة، والزهرة البياض النير، والمرأة زهراء، والأزهر: القمر، والأزهران: الشمس والقمر لنورهما))[١٩٨] والأزهار نوعان:

نوع يفوح عطره ليزيد من أثره في النفوس وهو الرياحيين، ونوع خلا من العطر فظل ضمن الاسم الجامع المشترك: الأزهار.

ذكر الشاعر الأزهار في فصل الربيع بقوله:

كل وجوه الأرض مكسوةٌ لفائف الأزهار حتى الطريق[١٩٩]

الرياحين: ذكر الشاعر الرياحين في منطقة الرصافة في بغداد قائلاً:

يا نسمة الريح من بين الرياحين حيي الرصافة عني ثم حييني[٢٠٠]

وقوله في قصيدة أخرى:

بنتُنا وابنُنا معاً يرقبان الزرع والضرع والضمير رقيب[٢٠١]

وتبدو الظواهر الدلالية لهذه المجموعة من خلال العلاقات الدلالية الآتية:

-تتصف علاقة الأزهار بالرياحين بأنها نوع من علاقة الجزء بالكل.

-تمتاز الرياحين ببعد دلالي يتعدى العشب، والزهر إلى التعبير عن الأثر في النفس لما فيه من عطر يتضوع، وينعش الجسم عن طريق حاسة الشم.

-تتبدى في الزرع، والضرع أبعاد دلالية تعدت معنى العشب، والنبات إلى التعبير عن توسم الخير لما فيهما من غذاء يبعد عن الإنسان شبح الجوع.

الخاتمـــة:

بعد هذه المتابعة لشعر الجواهري في الموضوعات الطبيعية التي طغت على ديوانه واستأثرت بغالبية مضامينه، وتطبيق نظرية الحقول الدلالية عليها، يمكن أن نخلص إلى إيجاز أهم نتائج البحث على النحو الآتي.

- انتقال كثير من الصفات إلى الإسمية للدلالة على أسماء أنواع من الغيوم أو الكواكب أو الحيوانات، كما نلحظ أوصاف الغيوم الغزيرة المطر التي صارت تطلق عليها الصفة من دون الإسم لدلالتها المعبرة فتحولت الصفة إلى اسم له دلالته الخاصة كنوع مميز من الغيوم، كما نلحظ في كلمة مواطر، وهي تعني الغيوم المثقلة بالمطر، وكذلك الرواعد والمكبوتة...

- يبدو أن كثيراً من ألفاظ البحث ليست كذلك في استعمالها اللغوي، بل تتباين دلالاتها عند التأمل في سياقاتها، كما في استعماله دلالات الأرض وهي البر والجبال والأطوار والرواسي والشواهق، وما إلى ذلك من ألفاظ الطبيعة.

- ويلحظ تدرج بين جملة من الألفاظ المتقاربة مثل الثلج والماء والبرد والجماد، وكذلك الصبا والنسيم والريح والعاصفة فهي تتدرج صعوداً.

- ويلحظ أنه استعمل ألفاظاً كلفظتي الشمال والجنوب في معرض حديثه عن الريح واللتين انتقلتا إلى معنيين آخرين يقصد بهما في الأصل الاتجاه فأصبحت تطلقان على الريح التي تأتي من الشمال باسم الشمال ومن الجنوب باسم الجنوب.

- استعمل الجواهري ألفاظاً خاصة بدلالة عامة، وألفاظاً عامة بدلالة خاصة وهذا من باب الخصوص والعموم، كما نلحظ في استعماله صفة من صفات الأسد أو من صفات الغيوم للدلالة على الأسد بكامل أعضائه وهي في الأصل تدل على الكمية أو على الصوت المنطلق من تصادم الغيوم.

- إن هناك ألفاظاً استعملت بمعانٍ تختلف عما وضعت له في الأصل، وهذا من باب انتقال الدلالة من حال إلى حال كما في السماء التي وردت بمعنى السحاب، والقمر المأخوذ من القمرة، وهي البياض، فسمي بذلك لبياضه، وكلمة نجم كانت تدل على الطلوع والظهور، ثم انتقل مجالها الدلالي إلى السماوي لظهور النجم في الليل، كما سمي عدد من النجوم بأسماء الحيوانات وأسماء أخرى مثل الجدي وكيوان والعقرب، وغير ذلك.

- و"زحل" وهو كوكب من الخنس سمي بذلك لأنه زحل أي بعد وأصله في اللغة من زحل الشيء عن مقامه يزحل زحلاً وزحولاً إذ أزل عن مكانه.

الهوامش :

---

(1) لسان العرب،ابن منظور،الامام العلامه ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري،بيروت، دار صادر، ط١،١٤١٢،١٩٩٢: ٢٣٢/٨.

(2)الديوان،الجواهري،محمد مهدي، الاعمال الكاملة١_٧ ،بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر،ط٢ ،٢٠٠١، ٧٤/٢، ٧٠/١، ٧٢/١، ١٦٢/١، ١٦٥/١.

(3) م.ن، ٧٤/١.

(4) لسان العرب، ٧/٣.

(5) م.ن، ١٦٤/٨.

(6) الديوان، ١٦٢/١.

(7) قصيدة الروضيات في العصر العباسي،شحادة فهد، أطروحة دكتوراه، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م: ٢٦،د.ط .

(8) في الأدب الأندلسي،الركابي،جودت، مصر، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٠: ١٢٦.

(9) الطبيعة في القرآن الكريم،الزيدي كاصدياسر، بغداد، دار الرشيد للنشر،د.ط، ١٩٨٠: ٨ .

(10) ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم، الدليمي،خولةعبيد خلف، بيروت، دار العلم للملايين، د.ط،٢٠١١: ١٣.

(11) م.ن : ص ١٤.

(12) الأنعام: ٧.

(13) يس: ٣٩.

(14) علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى،نلينو السينور كرلو، طبع بمدينة روما العظمى، د.ط ١٩١١م: ١٠٦-١٠٧.

(15) لسان العرب، ٢١٠/٢.

(16) الشمس: ٥.

(17) الديوان ٢٩٠/٢.

(18) م.ن ، ٢٩٠/٢.

(19) م. ن ١٤٥/١.

(20) م.ن ١٦٤/١.

(21) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات،القزويني،زكريا بن محمد، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٩٧٣: ٥٤.

(22) معجم مقاييس اللغة،ابن فارس،أبو الحسن أحمد بن زكريا: القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط١، د.ت:٣| ٢١٢.

(23) يس: ٣٨

(24) يوسف:٤.

(25) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،الزمخشري ، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي،٤٤٣\١٢

(26) الأنعام:٧٨.

(27) الديوان، ٣٠٧/٢.

(28) م.ن، ٢٩٠/٢.

(29) ديوان ابن الرومي، شرح محمد شريف سليم/ لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ط. ١١٥/٤.

(30) الديوان، ١٢٨/١.

(31) م.ن ١١١/١.

(32) م. ن ١٩٤/١.

(33) لسان العرب ٣٧٢/٣.

(34) معجم مقاييس اللغة ٢٣٥/٥.

(35) قصيدة الروضيات في العصر العباسي،شحادة فهد: ٨٠.

(36) معجم مقاييس اللغة (قمر) ٢٥/٥.

(37) لسان العرب، ١١٣/٥.

(38) الشمس: ٢.

(39) الديوان، ٣٠٧/٢

(40) نهاية الأرب في فنون الادب ،النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ،القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية،د.ط: ١٣٤٢هـ- ١٩٢٤م: ٥٠/١.

(41) الديوان، ٢١٣/١.

(42) النجم:١.

(43) لسان العرب ٥٦٩/١٢.

(44) لسان العرب ٣٥٦/١.

(45) معجم مقاييس اللغة ٣٩٦/٥.

(46) الديوان ٧٨/١.

(47) الديوان، ٧٦/١.

(48) م. ن ٥٠٩/١.

(49) النمل: ٧.

(50) الديوان: ٧٢/٢، ٧٠/١، ٧٤/١، ٧٦/١، ٧٧/١، ٨٥/١، ٨٦/١، ٩٤/١، ٩٦/١، ١٢٥/١، ١٤٦/١.

(51) الديوان ٧٧/١

(52) م.ن ٧٢/١.

(53) لسان العرب، ٣٢٩/٥.

(54) م.ن ٩٦/١.

(55) الديوان، ١٨١/١.

(56) لسان العرب، ٣٣٤/٣.

(57) م.ن ١٠٨٦/٧.

(58) الصافات: ٦.

(59) لسان العرب (زحل)، ١٥/٢.

(60) الديوان، ٨٥/١.

(61) المخصص ،ابن سيده: علي ابن إسماعيل النحوي اللغوي، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م: ٩٣/٣.

(62) الرعد: ١٢.

(63) الأعراف: ١٦.

(64) الواقعة: ٦٨-٦٩.
(65) لسان العرب، ٦٢٨/١.
(66) م.ن ٤٤٦/١٢.
(67) الديوان، ٢٩٢/٢.
(68) م. ن، ٢٨٨/٣.
(69) م.ن ١ /١٤١.
(70) معجم مقاييس اللغة (برق)، ٢٢١/١.
(71) م. ن (رعد)، ٤١١/٢.
(72) الديوان، ٢٩٢/٢.
(73) لسان العرب، ٢١٩/١٢.
(74) الليل،: ١ و٢.
(75) لسان العرب، ٤٢٣/٣.
(76) الديوان، ٥٢٢/٣، ٥٣٦/٣، ٥٧١/٣، ٥٨٢/٤، ٥٨٤/٤.
(77) م.ن، ٥٢٢/٣.
(78) لسان العرب، ٤٢٣/٣.
(79) سورة الفلق، آية: ٣.
(80) الديوان، ٣٦٨/٦.
(81) الديوان، ٥٨٤/٤.
(82) لسان العرب، ٢٩٦/٤.
(83) الديوان، ٥٢٢/٣.
(84) لسان العرب، ١٧/١١.
(85) م.ن ، ١٥٥/٧.
(86) م.ن ، ٢٣٨/٥.
(87) م.ن ، ١٨٧/١٠.
88 الفجر : ١،٢
(89) الديوان، ٥٨٢/٤.
(90) الأنعام: ٩٦.
(91) لسان العرب، ٢٧١/٧.
(92) الديوان، ٥٨٤/٤.
(93) جامع البيان في تفسير القران،الطبري،أبو جعفر محمدبن جرير،بيروت،دار الفكر، د.ط،١٣٩٨ه_١٩٧٨م: ٣٨/٢.
(94) لسان العرب، ٤٢١/١٤.
(95) الديوان، ١٢٦/١.
(96) لسان العرب، ١٢١/٢.

(97) م.ن ، ١٠٣/٨.
(98) الديوان، ١٤٥/١.
(99) لسان العرب، ٢٢٩/١٠.
(100) م.ن ، ٢٦٧/٣.
(101) الديوان، ١٤١/١.
(102) لسان العرب، ٢٠٠/٩-٢٠١.
(103) الديوان ١٢٦/١.
(104) لسان العرب ١٠٦/١٠.
(105) النبأ: ٣٤.
(106) الديوان، ١٢٧/١.
(107) لسان العرب ٣١٢/١٠.
(108) لسان العرب ٧/٣.
(109) الديوان ٤٥٥/٣.
(110) لسان العرب ١٠٣/١١.
(111) م.ن ١٢٢/٣.
(112) قصيدة الروضيات في العصر العباسي:شحادة فهد: ٢٦.
(113) لسان العرب، (أرض) ٤٧/٢.
(114) الديوان ١٢٨/١.
(115) م.ن ، ١٢٦/١.
(116) م.ن ١٢٨/١.
(117) م.ن ١٧٦/١.
(118) لسان العرب (ربع): ١٠٧/٨.
(119) الديوان ٢١٣/١، ٢١٤/١، ١١٦/١، ١٤٢/١، ٢٩٢/٢.
(120) م.ن ١١٦/١.
(121) م.ن. ١٤٢/١.
(122) م.ن. ٢٩٢/٢.
(123) م.ن ، ١٦١/١.
(124) الديوان، ١٤١/١.
(125) لسان العرب ٩٦/١١.
(126) الديوان ١٢٩/١.
(127) م.ن ٣١٠/٩.
(128) لسان العرب، ١٧٢/٤.
(129) الديوان، ٣٠٦/٢.
(130) م.ن، ٣٣٨/٢.

(131) لسان العرب ٩٦/١١.

(132) م.ن، ٩٧/١١.

(133) الشعراء: ٦٣.

(134) لسان العرب، ٩٦/١١.

(135) م.ن (رسا)، ٣٢١/١٤.

(136) النحل: ١٥، لقمان: ١٠.

(137) لسان العرب (شهق) ٣٧٧/٢.

(138) م.ن ، ٦١١/١.

(139) م.ن ، ١٥٣/٢.

(140) م.ن ، ٣٤٩/١١.

(141) الأعراف: ٧٤.

(142) الديوان، ٣٠٦/٢.

(143) لسان العرب ٣٨٤/١٥.

(144) م.ن ٣٨٤/١٥.

(145) الديوان ٣٣٠/٢.

(146) المصدر نفسه ٣٣٢/٢.

(147) لسان العرب (روح): ٤٧/١.

(148) إبراهيم: ١٨.

(149) وصف الطبيعة في العصر الأموي، شحادة،اسماعيل احمد، القاهرة، مؤسسة الرسالة، دار عمار، ط١، ١٩٨٧: ص ٥٩.

(150) الديوان ١٢٧/١.

(151) م.ن ١٢٧/١.

(152) الديوان، ١٢٦/١.

(153) لسان العرب ٤١/٤– ٤٢.

(154) الديوان ٣٣٩/٢.

(155) لسان العرب ٢٢٦/٥.

(156) م.ن ، ٣٣٩/٢.

(157) لسان العرب ١٠٦/١١.

(158) الديوان ٢١٤/١.

(159) م.ن ، ٣٤٥/٨.

(160) الإسراء:٩٠.

(161) الديوان، ١٢٨/١.

(162) الديوان ، ٣٠٧/١.

(163) م.ن، ٧٧٤/٥.

(164) م.ن، ٧٧٦/٥.
(165) م.ن ، ٧٧٥/٥.
(166) م.ن ، ٧٧٦/٥.
(167) لسان العرب، ١٠٦٥/٢.
(168) الديوان، ١١١/١.
(169) م.ن ، ٢١٣/١.
(170) الديوان ١٨١/١، ١٨٧/١.
(171) لسان العرب، ١٨٢/٣.
(172) الديوان، ١٨٧/١.
(173) م.ن ٥٨٤/٤.
(174) م.ن ١٨٩/١.
(175) م.ن، ١٦١/١، ١٢٩/١، ١٢٨/١، ١٤٥/١، ١٢٩/١.
(176) لسان العرب، ١٦٢/٧.
(177) المصدر السابق، ١٦١/١.
(178) الديوان، ١٢٩/١.
(179) الطبيعة في القران الكريم،الزيدي كاصد ياسر: ٨٨
(180) م.ن ، ٢.
(181) لسان العرب، ٣٩٤/٤
(182) الطبيعة في القران الكريم،الزيدي كاصد ياسر: ص٩٠.
(183) ق : ١٠.
(184) الديوان ١٤٢/١.
(185) م.ن ، ٣٠٦/٢.
(186) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات،القزويني،زكريا: ٣٠٤.
(187) المسند،ابن حنبل: مصر، دار المعارف، ط٢، ٥٢٨، ١٤٠٤: ٤١/٢.
(188) م.ن: ٣٩.
(189) سورة النور: آية ٣٥.
(190) لسان العرب ٤٧/٥.
(191) الديوان ٧٧٣/٥.
(192) م.ن ، ٣١٣/١٣.
(193) م.ن ١٨/٢.
(194) الديوان ٧٨٠/٥.
(195) لسان العرب ٧٥/١٣.
(196) التين: ١.
(197) لسان العرب، ١٤٢/١٣.

[198] م.ن ، ٣٣١/٤.

[199] الديوان، ١٤٥/١.

[200] م.ن ١١٥/١.

[201] م. ن، ٢٩٣/٢.

المصادر

- القرآن الكريم
- ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم، الدليمي، خولة عبيد خلف، بيروت، دار العلم للملايين، د.ط،٢٠١١: ١٣.
- جامع البيان في تفسير القران ،الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، بيروت ،دار الفكر، د.ط،١٣٩٨ه ١٩٧٨م .
- ديوان ابن الرومي، شرح محمد شريف سليم/ لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ت، د. ط.
- الديوان، الجواهري، محمد مهدي ، الاعمال الكاملة١_٧ ،بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر،ط٢ ، ٢٠٠١.
- الطبيعة في القرآن الكريم، الزيدي كاصد ياسر، بغداد، دار الرشيد للنشر، د.ط، ١٩٨٠.
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، القزويني ، زكريا بن محمد، بيروت، دار الآفاق الجديدة ، ط١، ١٩٧٣.
- علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، نلينو السينور كرلو، طبع بمدينة روما العظمى، د.ط ١٩١١م.
- في الأدب الأندلسي، الركابي، جودت، مصر، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٠.
- قصيدة الروضيات في العصر العباسي، شحادة فهد، أطروحة دكتوراه، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م ، د . ط .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، بيروت– لبنان، دار الكتاب العربي.
- لسان العرب،ابن منظور، الامام العلامه ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، بيروت ،دار صادر،ط١،١٤١٢،١٩٩٢.
- المخصص ،ابن سيده: علي ابن إسماعيل النحوي اللغوي، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م .
- المسند، ابن حنبل: مصر، دار المعارف، ط٢، ١٤٠٤.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا: القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط١،د.ت.
- نهاية الأرب في فنون الادب ،النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ،القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، د.ط : ١٣٤٢هـ– ١٩٢٤م.
- وصف الطبيعة في العصر الأموي ، شحادة ،اسماعيل احمد ، القاهرة، مؤسسة الرسالة، دار عمار، ط١، ١٩٨٧.